آيات الثناء على طائفة من أهل الكتاب

دراسة تحليلة موضوعية

الدكتور /علي بن حميد السناني

استاذ مشارك بكلية القرآن الكريم

الجامعة الاسلامية

المقدمة

الحمد لله ذي العظمة والكبرياء، والعزة والبقاء، والمجد والثناء ، تعالي عن الأنداد والشركاء، وتقدس عن الأمثال والنظراء ، سبحان ربنا الملك القدوس السلام، المؤمن المهيمن العلام، شارع الأحكام، ذي الجلال والإكرام ، أكرمنا بدين الإسلام ، ومن علينا بنبينا محمد عليه التحية والسلام، وأنعم علينا بكتابه المفرق بين الحلال والحرام، والصلاة والسلام على حبيبه، وخيرته من خلقه محمد سيد الأنام، عدد ساعات الليالي والأيام، وعلى آله وأصحابه نجوم الظلام ، والصفوة الذين رفع الله ذكرهم على الدوام ، وعلى جميع الأنبياء والملائكة البررة الكرام. وعلى من سار على نهجهم واقتفى طريقهم إلى يوم العود إلى الملك العلام.

وبعد: فإن علم التفسير من أجل العلوم وأشرفها وأعلاها منزلة؛ وذلك لشرف موضوعه، ولمسيس الحاجة إلى تعلمه وفهمه، فإن نور الوحي يضيء للأمة طريقها، ويعالج مشاكلها، ويمهد لكمالها، عاجلا وآجلا ، متى عرفت لهذا العلم المبارك قدره، وأعطته من الاهتمام مايستحقه، وقد شرّف الله تعالى أهل هذا الفن، ورفع قدرهم، وأعلى مقامهم، إذ هم المرجع للعباد في فهم كلام ربهم، وبيان مراده، وهذا شرف لا يقادر قدره، ولا يجارى ولايدانى، فاللهم لك وحدك الحمد، وعظيم الفضل، ولك جزيل العرفان، بأن شرفتني بالانتساب إلى أهل التفسير، فارزقني اللهم الإخلاص في القول والعمل، وكتاب ربنا جلا وعلا معين هداية ، وسبيل رشد ، قال تعالى:﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (١) .

وقال تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(٢) ، ففيه البيان والإيضاح لأمور الدنيا والدين،

ومن الأمور التي بينها الكتاب العزيز: أحوال أهل الكتاب، فإنه عرى(٣)، لنا الكثير من أحوالهم، وذكر لنا من مكنوناتهم تجاه المسلمين ودينهم ونبيهم الشيء الكثير ،

---

(١) النحل: ٨٩.

(٢) المائدة: ١٥ – ١٦

(٣) عري يعرى، اعر، عريا، فهو عار وعريان/ عريان: عري الشخص: تجرد من ثيابه، خلع ثيابه "طفل عريان- ﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴾ طه ١١٨ عري الشيء: تجرد مما يغطيه أو يكسوه ، عريت الأشجار من أوراقها- عريت الأرض من الحشيش ، معجم اللغة العربية المعاصرة : (٢/ ١٤٩٠).

ممـا يجعلنـا على بينة من الأمر تجاههم حتـى لا نضعهم في غير موضعهم، ولا ننخدع بزخـرف قولهـم ، ولا نجنـح إلى شـيء من الظلم والجـور في حقهم، ولنكـن على علم تـام بحقيقـة أمرهم، ورغم ذلك فـإن الكثير من المسلمين في هـذا الزمن قد حاد عن هـدي القرآن الكريم في التعامل مع أهل الكتاب، جهلاً أو تجاهلاً، الأمر الذي جرّ على المسلمين العديد من المشاكل.

لذلك أحببت أن أتناول موضوع الثناء الوارد في آيات الكتاب العزيز على طائفة من أهل الكتاب عبر هذا البحث المختصر الذي أسميته:

آيات الثناء على طائفة من أهل الكتاب

دراسة تحليلة موضوعية.

لأهميـة هـذا الموضوع لـدى كل مسلم، فـإني أحسب أن الحاجة ملحـة إلى معرفة أحـكام أهـل الكتـاب وماهو الواجـب تجاههم، وذلـك لسهولـة الاتصـال بينهم وبين المسلمـين، خاصة في هـذا الوقت الذي سهل فيـه الاتصال والاحتكاك مـع أهل الكتاب وغيرهم في ميادين مختلفة.

أهمية الموضوع وسبب اختياره :

أعتقد أن لهذا الموضوع أهميةً كبيرةً لدى كل مسلم، وذلك لأن أهل الكتاب في هذا الزمـن هـم الذين بأيديهم زمام السياسة والمال والإعـلام في العالم ، وقد سخروا هذه المعطيـات في سبيل الترويج والدعاية لدينهم بشكل ربما خفي على الكثير من المسلمين، لذلـك فإن من المهم تبصير المسلمين ببيان الموقف الشرعي حيال أهل الكتاب وغيرهم من غير المسلمين ، وأهم الأسباب :

١. معرفـة الموقـف الشرعي حيال أهل الكتاب، فلا حيـف[1] ضدهم بغير حق، ولا إنـزال لهم في غير منزلتهم التي أنزلهـم الله فيها ، ولئلا تُتخذ ظواهر الآيات التي فيها الثناء على طائفة من أهل الكتاب سبيلاً إلى استساغة مذاهبهم أو موافقتهم على طريقهم سيما مع ما يتقنونه من التمويه والخداع .
٢. معرفـة متعلق الثناء الـوارد في القرآن الكريم على طائفة من أهل الكتاب لئلا يُتعدا به موضعه .

(١) الحيف الميل في الحكم ، يقال : حاف يحيف حيفاً ، أي جار وظلم ، انظر المصباح المنير (١/١٥٩).

٣. تصحيح ما بلغ به الجهل ببعض المسلمين بالاستدلال بظواهر بعض الآيات على التهوين من شأن الكفر أو استساغة مذاهب أهله ،جهلاً بالنصوص الكثيرة في هذا الباب .
٤. تحذير المسلمين من بعض الدعايات التي تروج عبر وسائل الإعلام، داعية إلى الإخوة الإنسانية دون النظر إلى شأن العقائد ، فالمتيقن أن الدين الحق واحد لا يتعدد وهو دين الإسلام .
٥. بيان أهمية أن حسن التعامل مع أهل الكتاب في الأمور الدنيوية والعدل وعدم ظلمهم لا يلزم منه محبة أهل الكتاب أو التهوين من شأن كفرهم وظلالهم ما داموا على دينهم.

إلى غير ذلك من الفوائد العظيمة التي أحسبها تحصل من بحث مثل هذا الموضوع بإذن الله وسوف أسير في بحثي وفق الخطة التالية بإذن الله، راجيًا من المولى الكريم التوفيق والسداد، وهو حسبي وعليه اتكالي.

الدراسات السابقة حول الموضوع :

لم أعثر على أي دراسة بحثية تفسيرية متخصصة حول الموضوع، غير أن شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله تعالى - قد عقد فصلًا في كتابه: "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح" اسماه: الرد على النصارى في احتجاجهم بأن الله مدحهم في قوله: ﴿ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ ﴾ (١).

وهناك بحث بعنوان: القرآن الكريم وموقفه من أهل الكتاب، بقلم: الأستاذ أشرف عباس القاسمي، وهو منشور في مجلة الداعي الشهرية الصادرة عن الجامعة الإسلامية، دار العلوم بديوبند/ الهند، في العدد: ١-٢/٢٠١٣م، ولم يتعرض فيه الباحث لآيات الثناء على طائفة من أهل الكتاب إلا بإشارة سريعة مختصرة جدًا فاكتفى بالاستشهاد بالآيات على ذكر محاسنهم في القرآن دون الخوض في تفسيرها وتحليلها.

وثمة كتاب بعنوان: خطاب القرآن لليهود والنصارى، لعرفات العشي، وهو مطبوع بكندا باللغة الإنكليزية ومترجم للعربية، وفيه حديث عن منهج القرآن وأساليبه في

(١) آل عمران: (١١٣).

توجيه الخطاب لأهل الكتاب، وهو دراسة دعوية لم يتعرض الباحث فيها للجوانب التفسيرية لآيات الثناء على أهل الكتاب، كذلك ربما تُعرض لجزئيات حول الموضوع عبر الشبكة العنكبوتية، ولكن ذلك عبارة عن حطب ليل، لا تحصل الثقة التامة بالاعتماد عليه غالباً .

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة.

المقدمة: وتتضمن أهمية الموضوع ،وسبب اختياره ، والدراسات السابقة .

التمهيد: ويتضمن التعريف بأهل الكتاب ،وأقسامهم بالنسبة للبعثة المحمدية . ومجمل ذكر أهل الكتاب في القرآن الكريم .

الفصل الأول: أهل الكتاب بين الثناء عليهم والتحذير من منهم . وفيه ثلاثة مباحث :

- **المبحث الأول :** بيان الكتاب العزيز لبعض أحوال أهل الكتاب .
- **المبحث الثاني :** الثناء على أهل الكتاب في القرآن إنما هو في حق مَن أسلم منهم.
- **المبحث الثالث :** المقارنة بين اليهود والنصارى حيال المسلمين .

الفصل الثاني: أهل الكتاب بين دوام الكفر والعداء للمؤمنين ،وفيه ثلاثة مباحث:

- **المبحث الأول :** لا دلالة في آيات القرآن الكريم على التهوين من كفر أهل الكتاب .
- **المبحث الثاني :** استحكام عداء أهل الكتاب للمؤمنين .
- **المبحث الثالث :** إيجاب الإسلام للعدل مع أهل الكتاب .

الخاتمة: وتتضمن أهم نتائج البحث.

منهج كتابة البحث :

سوف أسير أثناء كتابة البحث بإذن الله تعالى وفق المنهج التالي :

- جمع المادة العلمية للموضوع ، وذلك باستقراء وجمع الآيات التي فيها ثناء من الله تعالى على طائفة من أهل الكتاب ، ومن ثم تحليلها ووضع عناوين مناسبة لها، مع التعرض لمسائل الآيات باختصار ،من حيث المعنى التفسيري، والخلافات بين المفسرين إن وجدت، وشرح المفردة اللغوية ، وغير ذلك مما تتطلبه المعالجة البحثية للموضوع .

- التوثيـق العلمي لأقوال المفسرين من خـلال الرجوع إلى كتبهم مع الإشارة إلى ما تصرفت في نقله وما نقلته بنصه ، وسوف أسير مع المفسرين دون زيادة في الاستطرادات .
- كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني بين قوسين مزهرين، وعزوها إلى سورها بذكر اسم السورة، ورقم الآية، مع السير مع ترتيب الآيات والسور الكريمة.
- تخريج الأحاديث والآثار الواردة في البحث تخريجاً علمياً، من خلال الرجوع إلى كتـب السنـة المعتبرة، فما كان في الصحيحـين أو في أحدهما خرجته منهما، وما لم يكن في الصحيحين فإنني أذكر كلام النقاد المعتبرين حوله ، صحة وضعفاً.
- التعريف بما يحتاج إلى تعريف من الألفاظ، أو الأعلام غير المشهورين، وكذلك البلدان والفرق وغير ذلك .
- تذييـل البحث بفهارس علمية تقرب محتواه، ومـا توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

وبالله تعالى التوفيق .

التمهيد :

التعريف بأهل الكتاب :

يتكرر كثيراً ذكر أهل الكتاب في القرآن الكريم ،كما في قوله تعالى ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[1] ،قال ابن عباس: هم يهود المدينة، ونصارى نجران[2]، وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى :فأخبر ﷺ أنه سيكون في أمته مضاهاة لليهود والنصارى وهم أهل الكتاب،[3].

إذاً :هم اليهود والنصارى ، والكتاب المذكور معهما والمضاف إليهما كثيراً هو اسم جنـس، يتنـاول التوراة والإنجيل ، قـال العلامة الإمام ابن باز رحمـه الله تعالى: فأهل الكتاب مثلما بينهم الله تعالى في كتابه هم اليهود والنصارى، سمو أهل كتاب لأنه تعالى

---

(١) البقرة ١٠٥ .

(٢) زاد المسير ٩٨/١.

(٣) انظره في اقتضاء الصـراط المستقيم ٨٣/١ في الاستطراد لشرح حديـث لتتبعن سنَن الذين من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم "قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: "فمن" ، وهو في البخاري ١٠٣/٩

أنـزل عليهم كتابين على بني إسرائيل، الأول على موسى - عليه السلام - وهو التوراة، والثاني على عيسى - عليه السلام - وهو الإنجيل، ولهذا يقال لهم أهل الكتاب، ويقال أهل الكتابين، ولهم أحكام تخصهم غير أحكام بقية المشركين[1].

وإن مما يطالع القارئ لكتاب الله - عز وجل- الكثير من الآيات التي حملت ثناءً على طائفـة من أهل الكتاب، فقد ورد ذلك في الكثير من الآيات باسمهم (أهل الكتاب) كقوله تعالى ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾[2]،وغيرهـا في هـذا المعنـى، وقد وجدت غالب ما ذكـره المفسرون أن هذا الثناء إنما كان في النصارى وحدهم دون اليهـود ،والمراد بمن جاء غالب الثناء في حقهـم إنما ذلك في النجاشي وأصحابه، أو في وفـد نجـران [3] ، الذين قدموا على رسول الله ﷺ ، فسمعـوا من الآيات ما رقت له قلوبهـم، فغالب الروايات في سبب نزول آيات الثناء على أهل الكتاب إنما كانت على إثر هذيـن السببين ، ثم إن ممـا لم يختلف فيه المفسرون أن مَن أثنـى عليهم المولى تبارك وتعـالى في هذه الآيات كمـا في قوله تعـالى ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾[4]، فإنهم قوم مسلمون آمنوا بعيسى - عليه السلام - ثم آمنوا بمحمد ﷺ ، وهو مانقله الإمام الطبري رحمه الله عن جملة مـن المفسريـن ورجحـه[5] ، وقال الإمام البغوي -رحمـه الله- : نزلت في النجاشي ملـك الحبشة، واسمه أصحمـة وهو بالعربية عطية ،فأنزل الله تعالى هذه الآيات، وقال عطـاء: نزلت في أربعين رجلا من أهل نجـران واثنين وثلاثين من الحبشة ،وثمانية من الـروم ، كانوا على دين عيسى عليه السلام، فآمنوا بالنبيﷺ، وقال ابن جريج: نزلت

(1) https://www.binbaz.org.sa

(٢) آل عمران: ١٩٩ .

(٣) قـال صاحـب الروض المعطـار: نجران : من بلاد اليمن، سميـت بنجران بن زيد بن سبأ بن يشجـب بن يعرب بن قحطان، وممـن كان في الفـترة أصحاب الأخدود، وكانوا بنجران، وبلغ ذا نواس أن قومـا بنجران على دين المسيح، وكان هو يهوديا، فنهـض إليهـم بنفسه، وحفر لهم أخاديد وأضرمها نارا ..وكان عبـد الله بن الثامر من أهل دين عيسى عليه السلام، وكان بهـا بقايا من أهل دينه على الإنجيل أهـل فضل واستقامة، وعبد الله بن الثامر رأس لهم، وكان أصل ذلك الدين بنجران، انظر الروض المعطار ٥٧٢/١ وهي اليوم أحد مدن بلادنا الحبيبة وتقع في الجنوب الشرقي قريب الحدود اليمنية العمانية .

(٤) المائدة ٨٤ .

(٥) جامع البيان ٥١١/١٠ .

في عبد الله بن سلام وأصحابه، وقال مجاهد: نزلت في مؤمني أهل الكتاب كلهم [١]، قلت: إذاً هذا الثناء من الله تعالى إنما كان لمن كان مؤمناً من أهل الكتاب دون من كان منهم على ملته ولم يدخل في دين الإسلام ، وهذا أمر معلوم [٢]، لكن هناك من فهم هذا الثناء على اطلاقه ، وربما اتخذ بعض الناس من هذا الثناء سبيلاً لأن يقر أهل الكتاب على دينهم أو حالهم أو تُترك دعوتهم ، أو فهم أن في الآيات تهويناً من كفر أهل الكتاب، إما جهلاً أو تأثراً بالدعاية الإعلامية لزمالة الأديان، أو الإخوة الإنسانية، أو نحو ذلك من الدعاوى التي لم تستند على دليل صحيح، ولعله من خلال ماسيأتي في هذا البحث يتضح الحق في هذه المسألة، ثم قد ذكر الله سبحانه وتعالى لنا في كتابه العديد من أحوال أهل الكتاب المختلفة ،وقد صنف أهل العلم فيما يخص أهل الكتاب العديد من المصنفات في جوانب متعددة تخصهم ومن أمثل مَن تناول هذا الموضوع شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله - عبر كتبه المختلفة ، ومن أمثلها كتاب اقتضاء الصراط المستقيم[٣]، وقد حظي هذا الكتاب بتحقيق علمي جيد من قبل د/ ناصر العقل ، فقد قال في افتتاحية التحقيق واصفاً موضوع الكتاب :

وقد عالج هذا الكتاب مسائل كثيرة تهم المسلمين اليوم، كما كان الحال في زمانه، ومن جملة هذه المسائل، بيان أن الأدلة القطعية من الكتاب والسنة والإجماع، توافرت على الأمر بمخالفة غير المسلمين، والنهي عن موافقتهم ، وأن في مخالفتهم مصالح ظاهرة ، كما أن في موافقتهم مفاسد ظاهرة كذلك ، وأن النصوص وآثار السلف بينت أصناف الذين أمرنا بمخالفتهم ، ونهينا عن التشبه بهم ، كأهل الكتاب ، وقد فصل شيخ الإسلام- رحمه الله- في هذا الكتاب القيم جملةً من الأمور التي جاء النهي الشديد عن التشبه بغير المسلمين فيها، وعن متابعتهم في شيء منها، وبخاصة مسألة الأعياد ، حيث بيّن أن الإسلام شرع للمسلمين عيدين في السنة، هما عيد الفطر وعيد الأضحى فحسب، ونهى أشد النهي عن متابعة الكافرين وأهل البدع في أعيادهم ، وعرض كذلك مسائل أخرى جاءت النصوص الشرعية وآثار السلف الصالح بالنهي عن متابعة غير المسلمين

(١) تفسير البغوي (١٥٥/٢) ،ونقله عن ابن عباس وجابر وأنس وقتادة .
(٢) سيأتي لهذه المسألة مزيد بيان في المبحث الثاني من الفصل الأول .
(٣) وقد أشرت في الدراسات السابقة إلى أنه رحمه الله تعرض للموضوع باختصار في كتابه الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح.

فيهـا ، كالبناء على القبور واتخاذها مساجـد ، وكالغلو في الصالحين، واتخاذ المشاهد والمـزارات وسائر البدع والمحدثـات في الدين، وكالافتتان بالنسـاء، والتفرق في الدين، والعصبيـات والتحزبات والشعارات، والطـرق والمناهج المحدثة في الدين، المستمدة من أعـداء الإسـلام والمسلمين، وغير ذلك مـن المسائل المهمة التي عرضهـا المؤلف، والتي تعالـج الكثير من الأمراض التي ابتليت بها بعض المجتمعات الإسلامية المعاصرة ، ويعد منهـج شيخ الإسلام في عرض هـذه المسائل الأنموذج الأمثل لمنهـج السلف في العرض والاستدلال والمناقشة والرد [1]، إلى غير ذلك مما يخص أهل الكتاب ، والعلماء الذين تحدثوا عن مواضيع أهل الكتاب إنما بنوا على نصوص من الكتاب العزيز .

أهل الكتاب في القرآن الكريم :

لقد ورد ذكر أهل الكتب في القرآن الكريم قرابة (١٠٣) مرات ، فقد ذكرهم بأهل الكتاب ٣١ مرةً ، وببني إسرائيل ٤٢ مرةً ، وباليهود ٨ مرات ، وبيا أيها الذين هادوا ١٠ مـرات، وبقوله (هـودا) ٦ مرات ، وبالنصارى ٣ مرات ، وبقولـه (نصارى) ٥ مرات، وبالحواريـين وهم خواص عيسى وأتباعه ٤ مرات ، وقدد تعددت الأغراض التي أعقبت ذكرهم في القرآن الكريم ، فمرة يذكرهم تعالى بنعمه، ومرة يذكرهم بالميثاق المأخوذ عليهـم ، وتارة ببيـان وقوعهم بالكفر لما كفروا برسالة محمـدﷺ ، بالقرآن ، وكذلك وقوعهـم بالشرك حينمـا نسبوا الولد لله تعالى عمايقولون ، وتـارة ببيان سؤ أدبهم مع ربهـم جـل وعلا ، ومع أنبياء الله ورسله الكرام ، وبيـان قبيح ما كانوا عليه من الأفعال التـى منهـا مع الكفر والشرك : التحريـف وأكل الحرام ونقض العهود وغير ذلك مما فعلوه فانجر عليهم بسببه العديد من العقوبات التي منها مسخهم إلى قردة وحنازير ، وضـرب اللعنة عليهم وغير ذلك ، والوقوف مع جزئيات هذا الموضوع يطول ، لكن المهم عنـدي الوقوف مـع الآيات الكريمة التي حملت ثناءً على طائفـة من أهل الكتاب لتجلية الحـق في متعلـق هذا الثنـاء، وهذا ماسوف يتبين مـن خلال ما سـيرد في فصلي هذا البحث بإذن الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان .

الخطاب القرآني لأهل الكتاب : خاطبهم القرآن الكريم بعدة صيغ : أهل الكتاب ، ويابني إسرائيل ،خطابهم بالاسم المفرد: هوداً أو نصارى ، هذا غالب أسلوب القرآن الكريم في حطابهم.

(١) انظره في مقدمة تحقيق اقتضاء الصراط المستقيم ٣/١.

أهل الكتاب والبعثة المحمدية:

إن من المعلوم بداهة أن الله تعالى قد نسخ ببعثة محمد ﷺ سائر الأديان السابقة، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[1]، فمَن جاء بغير الإسلام يوم القيامة فلن يُقبل منه كما سيأتي، وبناء على ذلك فإن أهل الكتاب بالنظر إلى حالهم مع البعثة المحمدية على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: مَن سبق بعثة النبي ﷺ، وهم الذين مضوا قبل البعثة المحمدية، فأولئك منهم المؤمن ومنهم الكافر، ينطبق على جميعهم قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[2]، وكما قال تعالى: ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[3].

القسم الثاني: مَن أدرك بعثة النبي ﷺ فآمن به وبكتابه، كعبد الله بن سلام -عليه السلام-، ومن كان مثله، فهؤلاء قد حازوا منقبةً عظيمةً، وحصّلوا الأجر مرتين بإذن الله تعالى، لأنهم جمعوا بين الإيمان بالكتابين المُنزَلين، والمُرسَلين: عيسى -رضي الله عنه- ومحمد ﷺ والإنجيل والقرآن، كلاً على حده، وقد حمل بعض المفسرين على هذا الصنف قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾[4]، ويندرجون ضمن من قال الله تعالى فيهم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[5].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله في سياق بيان منقبة من آمن من أهل الكتاب:.. لكن لمؤمني أهل الكتاب خصوصية؛ وذلك أنهم مؤمنون بما بأيديهم مفصلاً، فإذا دخلوا في الإسلام وآمنوا به مفصلاً، كان لهم على ذلك الأجر مرتين، كما ورد في الصحيح. (ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين، وذكر منهم،... ورجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي ﷺ فآمن به واتبعه وصدقه فله أجران[6].

---

(١) آل عمران ١٩.
(٢) البقرة:١٣٤.
(٣) فصلت: ٤٦.
(٤) البقرة: ٤.
(٥) البقرة: ٦٢.
(٦) أخرجه الأمام البخاري باب فضل من أسلم من أهل الكتابين، ٤/ ٦٠ ح (٣٠١١) والإمام مسلم في كتاب الإيمان، باب وجوب إيمان أهل الكتاب برسالة الإسلام (٤/١) (٩٣٣).

القسم الثالث: من أدرك بعثة النبي ﷺ فلم يؤمن به، ونكل عن اتباعه، وأدار للإسلام والقرآن ظهره، مشاقّاً لله ولرسوله ﷺ كبراً وعناداً، كغالب مَن هم في زماننا هذا من أهل الكتاب، فهؤلاء لايقبل الله منهم عملاً، ولا من غيرهم؛ مالم يؤمنوا بالرسالة المحمدية، وبرسولها ﷺ كما أشرت إليه، وذلك لأن من المعلوم أن من أهم شرطي قبول العمل الإيمان والإخلاص كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ ﴾[1]. وهذا أمر معلوم، نعم قد يكافئ الله عز وجل أهل الكتاب وهم على دينهم على ما يعملونه من أعمال خير في الدنيا؛ مثل رعاية الأيتام، ومساعدة المحتاجين، وبناء الملاجئ للمشردين، وإغاثة المنكوبين، ونحو ذلك يكافئهم ربنا جل وعلا في الدنيا بأن يعافيهم، ويمدهم بالأرزاق، والأمن، لكن لاحظ لهم أبداً في ثواب الآخرة، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[2]، ومن خلال هذا العرض يتبين موقف الإسلام من أهل الكتاب، إذا فقضية أهل الكتاب محسومة في كتاب الله عز وجل، ومبينة أتم بيان، فإنهم يشملهم وغيرهم قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[3]، فإنه لا ثناء عليهم بعمل صالح نافع، ولا ينتفعون بشيء من أعمالهم في الآخرة إن لم يؤمنوا ببعثة محمد ﷺ،وهذا أمر مقرر، قال ﷺ: (والذي نَفسُ محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يَهودي ولا نصراني، ثم يمَوت ولم يُؤمن بالذي أرسلتُ بِهِ إلا كانَ من أصحاب النار)[4]، وذلك لأن الدين الحق واحد لا يتعدد وهو دين الإسلام، ولبيان هذه الحقيقة لم يأت الدين في القرآن بغير الإفراد فلم يثن ولم يجمع، فمن الخطأ الشائع بل الفاحش قول بعضهم: زمالة الأديان، أو المقاربة بين الأديان، ونحو ذلك، فكل هذا ناتج عن سوء فهم وجهل. والله أعلم.

---

(١) (٤) النساء ١٢٤.
(٢) ال عمران ٨٥.
(٣) البقرة: ٦٢ .
(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب وجوب إيمان أهل الكتاب برسالة الإسلام (٣٠٣/٩٣/١).

الفصل الأول

أهل الكتاب بين الثناء عليهم والتحذير منهم: وتحته مبحثان :

المبحث الأول

بيان الكتاب العزيز لبعض أحوال أهل الكتاب تجاه المسلمين

يحسن قبل بيان ثناء الكتاب العزيز على طائفة من أهل الكتاب، ذكر بعض مما بينه تعالى لنا في كتابه العزيز عنهم ، فقد بيّن من أحوالهم الشيء الكثير[(١)]، ومما بُيّن لنا من أحوالهم أنهم لن يرضوا عنا أبداً مالم نتبع ملتهم،كما قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾[(٢)] .

الآية الكريمة كما يظهر فيها بيان لحقيقة مهمة تتعلق بأهل الكتاب ، وهي أنهم لايرضيهم عنا إلا إتباع ملتهم ، مهما حاول المسلمون إرضاءهم بغير ذلك ، والخطاب في الآية وإن كان موجهاً للنبي ﷺ لكن المراد التحذير للأمة؛ لأن الله تعالى تكفل بعصمة نبيه ﷺ عن إتباع أي ملة غير ملة الإسلام، قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله تعالى- : أي ولَيْسَتِ الْيَهُودُ يَا مُحَمَّدُ -وَلَا النَّصَارَى برَاضيَة عَنْكَ أَبَدًا، فَدَعْ طَلَبَ مَا يُرْضيهمْ وَيُوَافقُهُمْ، وَأَقْبلْ عَلَى طَلَب رضَا اللَّه في دُعَائهمْ إلَى مَا بَعَثَكَ اللَّه به منَ الْحَقِّ، وفيه تَهْديدٌ وَوَعيدٌ شَديدٌ للْأُمَّة عَنْ اتِّبَاع طَرَائق الْيَهُود وَالنَّصَارَى، بَعْدَ مَا عَلموا منَ الْقُرْآن وَالسُّنَّة، عيَاذًا بَاللَّه منْ ذَلكَ، فَإنَّ الْخطَابَ مَعَ الرَّسُول، وَالْأَمْرَ لأُمَّته[(٣)]، وقال الشوكاني -رحمه الله تعالى- : في هذه الآية من الوعيد الشديد الذي ترجف له القلوب وتتصدع منه الأفئدة، ما يوجب على أهل العلم الحاملين لحجج الله سبحانه، والقائمين ببيان شرائعه، ترك الدهان لأهل البدع المتمذهبين بمذاهب السوء، التاركين للعمل بالكتاب والسنة، المؤثرين لمحض الرأي عليهما ،فإن غالب هؤلاء وإن أظهر قبولاً وأبان

---

(١) وسيأتي المزيد في هذه المسألة في الفصل الثاني ، المبحث الأول ص ٣٠.

(٢) البقرة: ١٢٠ .

(٣) تفسير القرآن العظيم ٤٠٣/١ بتصرف .

من أخلاقه ليناً لا يرضيه إلا اتباع بدعته، والدخول في مداخله، والوقوع في حبائله، فإن فعل العالم ذلك بعد أن علمه الله من العلم ما يستفيد به أن هدى الله هو ما في كتابه وسنة رسوله، لا ما هم عليه من تلك البدع التي هي ضلالة محضة، وتقليد على شفا جرف هار، فهو إذ ذاك ماله من الله من ولي ولا نصير ، [1].

ومما بينه لنا تعالى من سيئ مكنونهم وكذلك المنافقين ما جاء في قوله تعالى:﴿ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [2]، وغير ذلك من الآيات الكريمة في هذا المعنى، فالمقام مقام تمثيل لا مقام بسط، ومما ينبغي أن يُعلم أن الله تعالى قد بالغ في تحذيره للمسلمين من سيء ما يكنه أهل الكتاب تجاههم من عداء بالغ، ومكر وكيد متأصل فيهم تجاه المسلمين ، لأجل دينهم ، ولم يُر تحذير كهذا ، ففيه تنبيه وتحذير جلي لكل غافل أو متغافل أن العداء لأجل الدين باق ما بقي المتعاديان كل على دينه، وسيأتي في الفصل الثاني في المبحثين الأول والثاني زيادة بيان لبالغ ما هم عليه من الكفر ، ولما يكنونه للمؤمنين من عظيم البغض ، وبالغ الكراهية .

المبحث الثاني

الثناء على أهل الكتاب في القرآن إنما هو في حق من أسلم منهم لا مطلقا

لقد وردت في الكتاب العزيز آيات كريمة أشرت إليها في التمهيد ، فيها ثناءٌ عطر على طائفة من أهل الكتاب، ومدح لجميل صفاتهم، كما في قوله تعالى: ﴿ لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ وَمَا يَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلَن يُكۡفَرُوهُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ﴾[3]، وكما في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ خَٰشِعِينَ

(١) فتح القدير ١/١٥٨، بتصرف . .
(٢) النساء ٨٩.
(٣) آل عمران:١١٣-١١٥.

لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾[1]، وكما قال تعالى في سياق الخبر عن طائفتي أهل الكتاب: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَـٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّـٰلِحِينَ فَأَثَـٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[2]، وكما في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ﴾[3].

والآيات في هذا المعنى كثيرة جداً، وقد قدمت أن مما لم يختلف فيه المفسرون أن مَن أثنى الله تعالى عليهم في هذه الآيات وما جاء في معناها مما يحمل ثناءً على طائفة من أهل الكتاب، فإنهم قوم مسلمون آمنوا بعيسى ثم آمنوا بمحمد ﷺ وهو مانقله الإمام الطبري رحمه لله عن جملة من المفسرين ورجحه كما تقدم[4]، فقد أسند عن قتادة[5] -رحمه الله تعالى- عند قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَـٰرَىٰ ﴾[6]، فقرأ حتى بلغ: ﴿ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴾، قال: هم أناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق مما جاء به عيسى، يؤمنون به وينتهون إليه، فلما بعث الله نبيه محمدًا ﷺ، صدَّقوا به وآمنوا به، وعرفوا أن الذي جاء به هو الحق، فأثنى

(١) آل عمران: ١٩٩ .
(٢) المائدة: ٨٢-٨٥.
(٣) القصص ٥٢ – ٥٥ .
(٤) تقدم ص٨ .
(٥) قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز السدوسي وقيل: قتادة بن دعامة بن عكابة، حافظ العصر قدوة المفسرين والمحدثين، أبو الخطاب السدوسي، البصري، الضرير، الأكمه، قال الإمام أحمد ابن حنبل: قتادة أحفظ أهل البصرة، وكان من علماء العربية توفي سنة ١١٨هـ ينظر: سير أعلام النبلاء (٢٠٧/٥)، طبقات الحفاظ للسيوطي (١٠٣/٥٤).
(٦) المائدة: ٨٢ .

عليهم ما تسمعون، ثم عقّب الطبري رحمه الله قائلاً: والصواب في ذلك من القول عندي: أنّ الله تعالى وصف صفة قوم ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ﴾ ، أن نبيّ الله -ﷺ- يجدهم أقربَ الناس وداداً لأهل الإيمان بالله ورسوله، ولم يسمِّ لنا أسماءهم، وقد يجوز أن يكون أريد بذلك أَصحابُ النجاشي، ويجوز أن يكون أريد به قومٌ كانوا على شريعة عيسى، فأدركهم الإسلام فأسلموا ، لما سمعوا القرآن وعرفوا أنه الحق، ولم يستكبروا عنه[1]، قلت : إذا هم قوم مسلمون ،فوصَفَهم بقوله :(نصارى) أي في ذلك الوقت، وعلى هذا تتابع المفسرون رحمهم الله تعالى ، قال أبو الليث السمرقندي[2] رحمه الله: إنما أراد الذين هم النصارى في ذلك الوقت؛ لأنهم كانوا أقل مظاهرة على المؤمنين، وأسرع إجابة للإسلام[3].

الخلاف بين المفسرين فيمن تشمله هذه الآيات الكريمة :

قد وقع الخلاف بين المفسرين فيمن تشمله هذه الآيات الكريمة على رأيين :

الأول : أن هذه الآيات كلها في عموم مَنْ أسلم من النصارى دون من لم يسلم ، وهو قول أبي بكر الرازي[4]، وهو المفهوم من كلام الكثير من المفسرين كالطبري وأبي الليث السمرقندي وابن عطية وابن أبي حاتم [5] والماوردي [6] والواحدي [7] والقرطبي [8] وغيرهم [9].

---

(١) جامع البيان (١٠/٥٠١) مختصراً.

(٢) أبو الليث السمرقندي الحنفي نصر بن محمد بن إبراهيم الإمام الفقيه الحنفي أبو الليث السمرقندي صاحب كتاب الفتاوى توفي سنة ٣٧٥هـ. ينظر: تاريخ الإسلام (٦/١٠٦١)، الوافي بالوفيات (٤٧/٥٤).

(٣) بحر العلوم (١/٤٣٤).

(٤) أبو بكر الرازي أحمد بن علي الحنفي الإمام، العلامة، المفتي، المجتهد، علم العراق، أبو بكر أحمد بن علي الرازي، الحنفي، صاحب التصانيف. وكان مع براعته في العلم ذا زهد وتعبد، عرض عليه قضاء القضاة فامتنع منه. ينظر: سير أعلام النبلاء (١٦/٣٤٠).

(٥) قال :هُمُ الْوَفْدُ الَّذِينَ جَاءُوا مَعَ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابه مِنْ أَرْضِ الْحَبَشَةِ- وَرُوِيَ عَنْ عَطَاءٍ نَحْوُ ذَلِكَ، ونقل عَنِ ابْنِ عَطَاءٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: مَا ذَكَرَ اللَّهُ بِهِ النَّصَارَى مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّمَا يُرَادُ بِهِ النَّجَاشِيُّ وَأَصْحَابُهُ، تفسير ابن أبي حاتم ٤/ ١١٨٣.

(٦) قال رحمه الله : ليس هذا على العموم ، وإنما هو خاص ، وفيه قولان: أحدهما: عنى بذلك النجاشي وأصحابه لمَّا أَسْلَمُوا ، قاله ابن عباس ، وسعيد بن جبير. والثاني: أنهم قوم من النصارى كانوا على الحق متمسكين بشريعة عيسى عليه السلام ، فلمَّا بُعِثَ محمدﷺ آمنوا به ، قاله قتادة ، تفسير الماوردي النكت والعيون ٢/٥٨.

(٧) قال رحمه الله :يعني: النَّجاشي ووفده الذين قدموا من الحبشة على رسول اللهﷺ وآمنوا به ولم يرد جميع النَّصارى ، ا لوجيز ١/ ٣٣١ .

(٨) ولم يذكر غيره، الجامع لأحكام القرآن ٦/٢٥٧.

(٩) المحرر الوجيز ٤/٣٤٠. ونحى نحوه البغوي ٢/٨٥ ، وغيرهم.

الثاني : أن صدرها أي قوله تعالى: ﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [١] ، في عمـوم النصارى بغض النظر عن دخولهم الإسـلام من عدمه، وهو ماجوزه الزجاج [٢]، ونحى نحوه من المفسرين البيضاوي [٣] وأبو حيان والآلوسي [٤] ، وغيرهم .

فهـذان رأيـان للمفسرين في المسألة ، فمن نظـر إلى ماخُتمت به الآيات وهو قوله تعالى: ﴿ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ ﴾ ، رجح الأول، أي أنها في المسلمين منهم فقط، ومن نظر إلى صدر الآيات وبدايتها فإنه أدل على القول الثاني ، ولعل هذا الثاني هو الأظهر، ومع ذلك فإنه لا يرفع عنهم المعرة بإصرارهم على رفض الدخول في الإسلام ، ولايلزم منه استساغة مذهبهم وإقرارهم عليه ،

وقد قدمت أنه لا خلاف بين المفسرين في أن هذه الآية وماجاء في معناها إنما نزلت في النجاشـي [٥]، وأصحابـه، أو في وفد نجـران الذين قدموا على رسـول اللهﷺ [٦]، وقد تتابع المفسرون في ذكر الروايات التي فيها أنهم وفد جاءوا للنبي صلى عليه وسلم فسمعوا من الآيات ما رقت له قلوبهم ، أسند ابن كثير – رحمه الله – عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : نزلت هذه الآيات في النجاشي وأصحابه، الذين حين تلا عليهم جعفر بن أبـي طالـب بالحبشة القرآن بكوا حتى أخضلوا [٧] لحاهم ،وهذا القول فيه نظر؛ لأن هذه الآية مدنية، وقصة جعفر مع النجاشي قبل الهجرة.. واستطرد ابن كثير في ذكر الروايات عن جمله من مفسري السلف رحمهم الله تعالى في ذلك [٨] ، وقال القرطبي –رحمه الله

---

(١) المائدة: ٨٢.

(٢) وجائـز أن يكون يُعْنَى به النَصـارَى لأنهم كانوا أقَل مظاهرة للمشركينَ من اليهـود، ويكون قوله: (وَإِذَا سَمِعُـوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ) ،على معنى (ذَلِكَ بِـأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا) ، معاني القرآن للزجاج ٢/٢٠٠.

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢ /١٤٠.

(٤) البحر المحيط ٦/٤ ،وروح المعاني ٣/٧.

(٥) أصحمـة النجاشـي ملك الحبشة أسلم في عهد النبيﷺ وأحسن إلى المسلمـين الذين هاجروا إلى أرضه، وأخبـاره معهم ومع كفـار قريش الذين طلبوا منه أن يسلم إليهم المسلمـين مشهورة، وتوفي ببلاده قبل فتح مكة، وصلى عليه النبيﷺ بالمدينة، وكبر عليه أربعا ، ينظر: أسد الغابة (٢٥٢/١)، الإصابة (٣٤٩/١).

(٦) انظر ما تقدم ص ٨، ١٨ .

(٧) أي بلوها بالدموع. ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٤٣/٢).

(٨) تفسير ابن كثير (١٦٦/٣) ، وجملة الروايات مفادها أن الآيات نزلت في قوم من أهل الكتاب أسلموا .

-: فنزلت فيهم ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ﴾ [1]، يعني وفد النجاشي وكانوا أصحاب الصوامع، وقال سعيد بن جبير: وأنزل الله فيهم أيضا ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ [2]، إلى قوله: ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾، [3] [4].

قلت: فثبت بالاتفاق أنه لا ثناء في الآيات على النصارى في جانب الاعتقاد ماداموا على دينهم، مالم يُسلموا، فإن أسلموا فإن لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم. والله أعلم.

المبحث الثالث

المقارنة بين النصارى واليهود ماداموا على دينهم حيال المسلمين

رأى جملة من المفسرين أن الآيات الكريمة فيها دليل على أن النصارى من حيث الجملة - أي ما داموا على نصرانيتهم - إنما هم أحسن حالاً من اليهود، قال أبو حيان: هم ألين عريكة[5]، وأقرب وداً، ولم يصفهم بالود إنما جعلهم أقرب من اليهود والمشركين، وهي أمة لهم الوفاء والخلال الأربع التي ذكرها عمرو بن العاص في صحيح مسلم[6]، ويعظمون من أهل الإسلام من استشعروا منه ديناً وإيماناً، ويبغضون أهل الفسق، فإذا سالموا فسلمهم صاف، وإذا حاربوا فحربهم مدافعة، لأن شرعهم لا يأمرهم بذلك، [7].

---

(١) المائدة: ٨٢.
(٢) القصص: ٥٢.
(٣) القصص: ٥٤.
(٤) الجامع لأحكام القرآن ٢٥٢/٦.
(٥) العريكة: الطبيعة. وفلان لين العريكة، إذا كان سلساً. ينظر: الصحاح (١٥٩٩/٤).
(٦) أخرجه مسلم في كتاب الفتن، باب تقوم الساعة والروم أكثر الناس (٧٣٨٢/١٧٦/٨). وفيه عن عمرو: إِنَّ فِيهِمْ لَخِصَالًا أَرْبَعًا: إِنَّهُمْ لَأَحْلَمُ النَّاسِ عِنْدَ فِتْنَةٍ، وَأَسْرَعُهُمْ إِفَاقَةً بَعْدَ مُصِيبَةٍ، وَأَوْشَكُهُمْ كَرَّةً بَعْدَ فَرَّةٍ وَخَيْرُهُمْ لِمِسْكِينٍ وَيَتِيمٍ وَضَعِيفٍ، وَخَامِسَةٌ حَسَنَةٌ جَمِيلَةٌ: وَأَمْنَعُهُمْ مِنْ ظُلْمِ الْمُلُوكِ.
قال النووي معنى: وَأَوْشَكُهُمْ كَرَّةً بَعْدَ فَرَّةٍ، يعني سرعان ما يرجعون إن كان في حرب كرة يكر بعدما فر، وفيه مدح لهم بالشجاعة لأن الجبان هو الذي يفر ولا يكر.، المنهاج ٢٣/١٨.
(٧) البحر المحيط (٦/٤).

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : أي الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمْ نَصَارَى مِنْ أَتْبَاعِ الْمَسِيحِ وَعَلَى مِنْهَاجِ إِنْجِيلِهِ، فِيهِمْ مَوَدَّةٌ لِلْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ فِي الْجُمْلَةِ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِمَا فِي قُلُوبِهِمْ، إِذْ كَانُوا عَلَى دِينِ الْمَسِيحِ مِنَ الرِّقَّةِ وَالرَّأْفَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ [1]، وَفِي كِتَابِهِمْ: مَنْ ضَرَبَكَ عَلَى خَدِّكَ الْأَيْمَنِ فَأَدِرْ لَهُ خَدَّكَ الْأَيْسَرَ، وَلَيْسَ الْقِتَالُ مَشْرُوعًا فِي مِلَّتِهِمْ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أَيْ: يُوجَدُ فِيهِمُ الْقِسِّيسُونَ -وَهُمُ خُطَبَاؤُهُمْ وَعُلَمَاؤُهُمْ، وَالرُّهْبَانُ: جَمْعُ رَاهِبٍ، وَهُوَ: الْعَابِدُ. مُشْتَقٌّ مِنَ الرَّهْبَةِ، [2].

وقد جاء في سياق قوله تعالى ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾ ، ما ذكره المفسرون : والمراد أَقْرَبَ النَّاس مِنْ أَهْل الْمِلَل الْمُخَالِفَة لِلْإِسْلَام ، وَالْمُرَادُ بِالنَّصَارَى هُنَا هم الْبَاقُونَ عَلَى دِينِ النَّصْرَانِيَّة لَا مَحَالَةَ، وما ذلك إِلَا لِلِين جَانبهم وقلة غلّ قلوبهم ، ولأن من مذهب اليهود، أنه يجب إيصال الشر إلى من خالف دينهم بأي طريق كان، من القتل ونهب المال ونحوهما، [3] وهو عند النصارى حرام ، فحصل الفرق ،كذلك لا يزال يوجد فيهم من يختار دين الإسلام، ويتبين له بطلان ما كانوا عليه، وهم أقرب من اليهود والمشركين إلى دين الإسلام ولكثرة اهتمام النصارى بالعلم والترهب، مما يدعو إلى قلة البغضاء والحسد، ولين العريكة، كما أشير إليه بقوله تعالى: (ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا) أي: كونهم أقرب مودة للمؤمنين بأَنَّ مِنْهُمْ أي: بسبب أن منهم قِسِّيسِينَ أي علماء وَرُهْبانا أي عبّاداً متجردين، وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ أي: يتواضعون لوداعتهم ولا يتكبرون كاليهود ، وفي الآية دليل على أن الإقبال على العلم، والإعراض عن الشهوات، والبراءة من الكبر- محمود. وإن كان ذلك من كافر.

ثم وردت جملة من التعليلات والأسباب التي لأجلها كان النصارى أقرب مودةً للمؤمنين منها ما يصح أن ينساق على النصارى ما داموا على منهاج كتابهم ولم يسلموا كقوله (مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا) أي: علماء متزهدين، وعُبَّادًا في الصوامع متعبدين ،

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢ /١٤٠.

(٢) تفسير ابن كثير ١٦٦/٣ .

(٣) وقد روى ابن مردويه عن أبي هريرة مرفوعا: ما خلا يهوديّ بمسلم إلا همّ بقتله. أخرج أَبُو الشَّيْخ وَابْن مرْدَوَيْه عَن أبي هُرَيْرَة قَالَ: قَالَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم ماخلا يَهُودِيّ بِمُسلم إِلَّا هم بقتْله وَفِي لفظ: إِلَّا حدَّث نَفسه بقتْله

قـال العلماء : والعلم مع الزهد وكذلك العبادة مما يلطف القلب ويرققه، ويزيل عنه ما فيـه من الجفاء والغلظـة، فلذلك لا يوجد فيهم غلظة اليهـود، وشدة المشركين، ومنها: (أنهـم لا يَسْتَكْـبِرُونَ) أي: ليـس فيهم تكبر ولا عتـو عن الانقياد للحـق، وذلك موجب لقربهم من المسلمين ومن محبتهم، فإن المتواضع أقرب إلى الخير من المستكبر .

ومـن هذه الأسباب والتعليلات ما لا يصلح أن يُنّـزل إلا على مَن كان مسلماً منهم كقولـه تعـالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ ﴾ أي : محمـد -ﷺ- أثر ذلك في قلوبهم وخشعوا له، وفاضت أعينهم بسبب ما سمعوا من الحق الذي تيقنوه، فلذلك آمنوا وأقروا به فقالوا:

(رَبَّنَـا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) وهـم أمة محمد ﷺ، يشهدون لله بالتوحيد، ولرسله بالرسالة وصحة ما جاءوا به، ويشهدون على الأمم السابقة بالتصديق والتكذيب.

فكأنهـم ليمـوا على إيمانهم ومسارعتهم فيه، فقالوا: (وَمَا لَنَا لا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَـا مِنَ الْحَـقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَـا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِـينَ) أي: وما الذي يمنعنا مـن الإيمان بـالله، والحال أنه قد جاءنا الحـق من ربنا، الذي لا يقبـل الشك والريب، ونحن إذا آمنا واتبعنا الحق طمعنا أن يدخلنا الله الجنة مع القوم الصالحين، فأي مانع يمنعنـا؟ أليس ذلك موجبـاً للمسارعة والانقياد للإيمان وعـدم التخلف عنه ، قال الله تعالى: (فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا) أي: بما تفوهوا به من الإيمان ونطقوا به من التصديق بالحـق (جَنَّاتٍ تَجْـرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِـكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ) ، وهذه الصفـات على ما تقدم نزلـت في النصارى الذين آمنوا بمحمد ﷺ، كالنجاشي وغيره ممن آمن منهم [1]، ونحى نحوه غير واحد كما هو رأي الآلوسي[2].

قلـت: وعلى كل حال لا يؤخذ من الآيات التهوين من ضلال النصارى ما داموا على النصرانية، ولايُسلم ما نقلته عن أبي حيان مما يفهم منه الثناء عليهم ببعض الصفات من حيث الجملة، فإنه -رحمه الله- قد استدرك على نفسه فقال : قال بعضهم وليس علـى ظاهـره - أي الثناء- ، وإنمـا المراد أنهم أكثر أسباب مـودة من اليهود وذلك ذم

(١) محاسن التأويل٤/ ٢٢٦ ، والتحرير والتنوير . ٦/٧ ، و تسير الكريم الرحمن ١/ ٢٤٢ .
(٢) روح المعاني ٣/٧.

لهم، فإن من كثرت أسباب مودته كان تركه للمودة أفحش [١].

قلت : باعتقادي أنه لم يخالف الصواب من قال إن تلك الصفات التي ذكروها فإنها لاوجود لها على أرض الواقع اليوم ، بل المشاهد أن عداءهم للمسلمين يزاحم عداء اليهود[٢]، فربما كانت تلك الصفات موجودة فيهم قبل تحريفهم لكتابهم ، فهم حينئذ نصارى في ذلك الوقت المتقدم .

قال صاحب الإعلام رحمه الله: فهؤلاء - يعني من اثنى الله عليهم - الذين عرفوا شرعة المسيح عليه السلام وعلموا ما عهد إليه من نعت محمد خير الأنام فبادروا لتصديقه ، ولم يمكنهم العدول عن طريقه[٣]،وسيأتي مزيد بيان لهذه المسألة[٤].

(١) البحر المحيط ٦/٤ .

(٢) قال البغوي :عداوة النصارى للمسلمين كاليهود في قتلهم المسلمين، وأسرهم وتخريب بلادهم وهدم مساجدهم وإحراق مصاحفهم ، انظر تفسير البغوي ٨٥/٣ وسيأتي ص ٢٨

(٣) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام (١٧٨).

(٤) انظر ما قاله ابن كثير رحمه الله تعالى ص (٢٦) ، وما قاله أبو بكر الرازي ص (١٨) وماسيأتي عنه وعن ابن كثير ص (٢٦ ، ٢٧).

الفصل الثاني

أهل الكتاب بين دوام الكفر والعداء للمؤمنين: وتحته مبحثان

المبحث الأول

لا دلالة في آيات الكتاب العزيز على التهوين من كفر أهل الكتاب

اعلم -رحمك الله- أنه ربما يُستدل بما سبق إيراده من الآيات في الفصل السابق التي حملت ثناءً على من أسلم من أهل الكتاب وليس مطلقاً، كما بينته، ربما اُستدل بهذه الآيات على خلاف ماتدل عليه، وحُملت خلاف ماتحتمل، وما إلى ذلك مما قد يُتوصل من خلاله إلى التهوين من كفر أهل الكتاب، أو الشك في كفرهم، أو تصحيح مذهبهم، ونحوه وقد أشرت إليه في التمهيد، فمن اعتقد ذلك فقد أتى بناقض من نواقض الإسلام [1].

وهذا أمر خطير ينبغي تحذير الناس من الوقوع في مثله، سيما مع كثرة الجهل، واتساع الدعاية الإعلامية لزمالة الأديان، أو الأخوة الإنسانية، أو غير ذلك من الدعايات، والإدعاءات التي يُهدف من ورائها تمييع العقيدة، وعدم التفريق بين الناس باعتبار انتماءاتهم الفكرية، جهلاً أو تجاهلاً للنصوص التي فيها بيان أنه لا مساواة بين المؤمنين والكافرين، كما في قوله تعالى: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴾ [2]، وكما في قوله تعالى ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾[3]، وغير ذلك من الآيات الكثيرة في هذا المعنى، ثم ليُعلم أن الله تعالى

---

(١) ونواقض الإسلام عشرة: ١- الشرك في عبادة الله تعالى. ٢- من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم. ٣- من لم يكفّر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر. ٤- من اعتقد أن هدي غير النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه، فهو كافر. ٥- من أبغض شيئا مما جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به فقد كفر. ٦- من استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثوابه أو عقابه كفر. ٧- السحر، ومنه الصرف والعطف. ٨- مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين. ٩- من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ فهو كافر. ١٠- الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به كما في نواقض الإسلام للعلامة ابن باز ٢.

(٢) ص: ٢٨ .

(٣) القلم: ٣٥ – ٣٦ .

الـذي أثنـى على طائفة مـن أهل الكتاب هو تعـالى الذي قـال في جميعهم: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[1]، وقبـل ذلك قال آمراً بمجانبة طريقة اليهود والنصارى:

﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾[2]، قـال الإمـام ابـن كثير رحمه الله تعالى في سياق الرد على من زعم من النحاة أن (لا) في قوله تعالى: ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ زائـدة ، قـال: إنما جيء بهـا لتأكيد النفي، لئـلا يتوهم أنه معطوف علـى ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾، وللتفرق بين الطريقتين، لتجتنب كل منهما ؛ فإن طريقة أهـل الإيمـان مشتملة علـى العلم بالحق والعمل بـه، واليهود فقدوا العمـل، والنصارى فقدوا العلم؛ ولهذا كان الغضب لليهود، والضلال للنصارى، لأن من علم وترك استحق الغضـب، بخلاف مـن لم يعلم، والنصارى لما كانوا قاصدين شيئاً لكنهم لا يهتدون إلى طريقـه، لأنهم لم يأتوا الأمر من بابه، وهو اتبـاع الرسول الحق، ضلوا، وكل من اليهود والنصارى ضال مغضوب عليه، لكن أخص أوصاف اليهود الغضب كما قال فيهم: ﴿ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ ﴾[3] ،وأخـص أوصاف النصارى الضلال كما قال تعالى: ﴿ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[4]، وبهـذا جاءت الأحاديث والآثـار، وذلـك واضـح بـين[5] ، إذاً لابد مـن إعمال كل نصـ في موضعه, وقد بين تعـالى مـن خلال الأوصاف العطرة التي أعقبـت الثناء على طوائف من أهل الكتاب أنهـم حازوا مـن الأعمال الصالحة أفضلها وأزكاها كمـا في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[6]، وكمـا في

---

(١) المائدة: ٦٨ .
(٢) الفاتحة : ٧ .
(٣) المائدة: ٦٠.
(٤) المائدة: ٧٧ .
(٥) تفسير القرآن العظيم ١٤١/١، بتصرف .
(٦) المائدة: ٨٣ – ٨٥.

قولـه تعـالى ﴿ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴾[1] . قلـت: إذاً هـؤلاء هم من أهل الكتاب باعتبار ماسبق أو في ذلك الوقت ، أما بعد ما اتصفوا به بعـد ذلك مـن الإيمان والدخول في الإسلام فهم إذاً من جملة المؤمنين ولله الحمد، إذ لاريـب أن من كان كمـا وصفه تعالى بمثل هذا الوصف العاطـر المذكور في هذه الآيات فهو مؤمن صالح صادق.

قـال أبـو بكر الـرازي : من الجهـال من يظن أن في هـذه الآيـة – أي التي حملت ثنـاءً – مدحـاً للنصارى وإخبـاراً بأنهم خير مـن اليهود، وليس كذلـك لأن ما في الآية مـن ذلـك إنما هو صفة قوم قـد آمنوا بالله وبالرسول ﷺ، يدل عليـه ما ذكره في نسق التـلاوة من إخبارهم عن أنفسهم بالإيمان بـالله وبالرسول، ومعلوم عند كل ذي فطنة صحيحـة أمعن في مقالتـي الطائفتين أن مقالة النصارى أقبح وأشـد استحالةً وأظهر فسـاداً من مقالة اليهـود، لأن اليهود تقـر بالتوحيد في الجملـة ،وإن كان فيهم مشبهة ببعض ما اعتقدته في الجملة من التوحيد بالتشبيه، انتهى كلام أبي بكر الرازي رحمه الله[2]، وتعقبـه أبـو حيـان قائلا : الظاهـر ما قاله المفسـرون غيره مـن أن النصارى علـى الجملـة أصلح حالاً مـن اليهود[3]، وذكر مـا فضل به النصارى علـى اليهود من كـرم الأخلاق، والدخـول في الإسلام سريعاً، وليس الـكلام وارداً بسبب العقائد، وإنما ورد بسبـب الانفعـال للمسلمـين، وأما قوله : لأن ما في الآية مـن ذلك إنما هو صفة قوم قـد آمنوا بـالله وبالرسول ﷺ ليس كما ذكـر، بل صدر الآية يقتضـي العموم لأنه قال:﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ﴾[4]، ثـم أخبر أن من هذه الطائفة العلماء والزهاد ومتواضعين وسريعي استجابة للإسلام وكثيري بكاء عند سمـاع القرآن، واليهود بخلاف ذلك والوجود يُصدق قرب النصارى من المسلمين وبعد اليهـود ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون الإشارة، بذلك إلى أقرب المودة عليه، أي منهم علماء وعباد وأنهم قوم فيهم تواضع واستكانة، وليسوا مستكبرين واليهود على خلاف ذلك[5]. قلت: وهذا الذى نحاه أبو حيان من أن النصارى أحسن حالاً

(١) القصص: ٥٣ .
(٢) أحكام القران للجصاص ٢/ ٥٦٤.
(٣) وقد تقدمت أقوال المفسرين في هذه المسألة ص (٢١ ، ٢٢).
(٤) المائدة ٨٢ .
(٥) البحر المحيط ٦/٤ ، بتصرف .

مـن اليهود من حيث الجملة وأن الثناء عليهم في الآية ينال بعضه طائفة من النصارى وهم علـى نصرانيتهم ، هذا أحد القولين المتقدمين عـن المفسرين[١] ، لكن الراجح والعلم عند الله هـو أنـه لا ثناء في الآية على النصارى ما داموا علـى دينهم[٢] ، ونحوه ما ذهب إليه ابن عطيـة مـن أن صدر الآية عام في النصارى ، وقوله: ﴿ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ ﴾ ،عام في مـن آمن مـن القادمين من أرض الحبشـة، إذ ليس كل النصارى يفعـل ذلك، بل هم الذين بعثهـم النجاشي ليروا النبـي ﷺ ويسمعوا ما عنده، فلما رأوه وتـلا عليهم القرآن فاضت أعينهم من خشية الله تعالى، انتهى[٣].

وقـال البغـوي رحمـه الله تعـالى قولـه: ﴿ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ﴾[٤] ، لم يـرد به جميع النصارى لأنهم في عداوتهم للمسلمين كاليهـود في قتلهـم المسلمـين، وأسرهـم وتخريب بلادهـم وهدم مساجدهـم وإحراق مصاحفهـم، لا ولا كرامـة لهم، بل الآية فيمن أسلم منهم مثـل النجاشي وأصحابه[٥]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى :

وَلَيْسَ فِي هَذَا مدح للنَّصَارَى بِالْإِيمَان بِاللَّه وَلَا وعد لَهُم بالنجاة من الْعَذَاب وَاسْتِحْقَاق الثَّوَاب وَإِنَّمَا فِيهِ أَنهم أقرب مَوَدَّة [٦].

اعلـم أنـه مما قد يتكأ عليه في التهوين من ضلال النصارى ما جاء في قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾[٧] ، فقـد استـدل بهـذه الآية بـأن الفضل لهم علـى المسلمين ، مـع تجاهل نسخ هـذه الآية ، قال الطاهر بن عاشور[٨] – رحمه الله –:

---

(١) انظره فيما تقدم ص ١٨، ١٩ .
(٢) انظر نحوه قد سبق ص ٢٣ .
(٣) البحر المحيط (٤/ ٣٤٠)، المحرر الوجيز لابن عطية (٢/٢٢٧).
(٤) المائدة: ٨٢ .
(٥) تفسير البغوي (٣/٨٥) ، بتصرف .
(٦) دقائق التفسير ٢/ ٦٦.
(٧) آل عمران: ٥٥ .
(٨) محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس. مولده ووفاته ودراسته بها. عين (عام ١٩٣٢) شيخا للإسلام مالكيا ، وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة. له مصنفات عدة منها التحرير والتنوير توفي سنة ١٣٩٣هـ. ينظر: الأعلام (٦/١٧٤).

والمـراد بالذيـن اتبعوه: الحواريـون ومن اتبعه بعـد ذلـك، إلى أن نسخت شريعته بمجيء محمد -ﷺ-[1].

ومن المفسرين من يرى أن الفوقية لأتباع عيسى -عليه السلام - على غيرهم إنما يشار بها إلى أتباعه بعد نزوله قبل يوم القيامة، قال الشوكاني رحمه الله تعالى:

وقـد ثبـت في الأحاديث الصحيحـة[2] أن عيسى -عليـه السلام -ينـزل في آخر الزمان فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويحكم بين العباد بالشريعة المحمدية، ويكون المسلمون أنصاره وأتباعه إذ ذاك، فلا يبعد أن يكون في هذه الآية إشارة إلى هذه الحال[3].

قلت: و على كل حال ومهما يكن فإنه لايؤخذ من الآيات التهوين من كفر النصارى، أو إقرارهم على حالهم، أو الشك أنهم على ضلال وبُعد عن طريق الحق، بل غاية ما قد يفهم مـن آية المائـدة: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾[4]، وما جاء في معناها أنهم من حيث الجملة أقرب إلى قبول الحق، والدخول في الإسلام من اليهود، أما ما داموا على كفرهم فهم في بُعد عن الحق، منغمسون في الضلال عياذاً بالله، كما أشرت إليه فيما تقدم في غير ما مرة ،وصدق الله تعالى القائل:

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[5] .

قـال العلامـة ابن باز رحمه الله تعـالى : وأهل الكتاب يجتمعـون مع غيرهم من الكفـار باسم الكفر والشرك؛ فهم كفار ومشركون كعباد الأوثان، وعبّاد النجوم، وعبّاد الكواكب، وسائر الكفرة والملحدين[6].

---

(١) التحرير والتنوير (٢٠٦/٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتـاب المظالم والغصب، باب كسر الصليب وقتل الخنزير (٢٤٧٦/١٣٦/٣)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم - عليه السلام - حاكماً بشريعة نبينا ﷺ (١٥٥/١٣٥/١).

(٣) فتح القدير (٣٩٦/١)، وراجع للمزيد الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣١/٢).

(٤) المائدة: ٨٢.

(٥) آل عمران: ٨٥ .

(6) https://www.binbaz.org.sa/noor/1694

المبحث الثاني

دوام عداوة أهل الكتاب للمؤمنين

ومما هو فرع عن المبحث السابق الذي هو بيان عدم التهوين من كفر أهل الكتاب فهم كذلك يضمرون بالغ العداء للمؤمنين ، والآيات في هذه كثيرة من أظهرها قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ × هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ × إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾[1] ، هذا السياق المبارك تضمن تنبيه المؤمنين إلى بعض الحقائق المهمة تجاه مخالفيهم في الدين :

الحقيقة الأولى : أن العداء الحقيقي وكذلك المحبة الحقيقة إنما يكون ذلك لأجل الدين، فمن احبك لأجل دينك فمحبته لك صادقة ، ومن أبغضك لأجل دينك فبغضه حقيقي باق ما دتما كل على دينه، وإن ظهر خلاف ذلك فهو خداع وتمويه ، فعلى المؤمن أن يكون فطناً ولاينخدع بزخرف القول ، وصدق الله إذ يقول :﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ ﴾[2][3] ،إذاً العداوة لأجل الدين لاسبيل لزوالها إلا بالتخلي عن الدين عياذا بالله ،

كل العداوة قد ترجى مودتها إلا عداوة من عاداك في الدين !.

الحقيقة الثانية : نهي المؤمنين البالغ عن الركون إلى أولئك المخالفين وأن يتخذوا منهم مستشارين مؤتمنين على أحوال واوضاع المؤمنين :(لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ) ، فهذا زجر للمؤمنين أن يتخذوا بطانة من المنافقين من أهل الكتاب وغيرهم يظهرونهم على سرائرهم أو يولونهم بعض الأعمال الإسلامية ، وذلك أنهم هم الأعداء

---

(١) آل عمران: ١١٨ – ١٢٠ .
(٢) البقرة: ١٢٠
(٣) انظر ما نقلته عن الشوكاني –رحمه الله تعالى – عند إيراد هذه الآية ص ١٧.

الذين امتلأت قلوبهم من العداوة والبغضاء ، ومن أصلح بطانته فقد أراد الله به خيراً ، ومن ساءت بطانته فقد غوى : في الصحيح "مَا بَعَثَ اللَّه مِنْ نَبِي وَلا اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَة إِلَّا كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَان: بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْخَيرِ وتَحُضُّهُ عَلَيْه، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالسُّوءِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْه، وَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَم اللَّه " [1] ،وقيل لعُمَرَ بْن الْخَطَّاب، رَضيَ اللَّه عَنْهُ: إِنَّ هَاهُنَا غُلامًا مِنْ أَهْل الحِيرة، حَافِظٌ كَاتِبٌ، فَلَوِ اتَّخَذْتَهُ كَاتِبًا؟ فَقَالَ: قَدِ اتَّخَذْتُ إِذًا بِطَانَةً مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ [2]

الحقيقة الثالثة : أن أولئك المخالفين للمؤمنين في الدين مع بالغ بغضهم فإنهم أهل سعي دؤوب في سبيل إلحاق الأذى بالمؤمنين حسداً وحقداً ، ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ أي: لا يُقَصِّرون في طلب الخبال، ولا يَدَعون جهدهم في مضرتكم، فعلى المؤمنين إذاً إن يأخذوا حذرهم وأن يتحرزوا لينجوا .

الحقيقة الرابعة : أن ما أظهره أولئك المخالفون من عداء ظاهر للمؤمنين فإن ما يضمرونه أشد :﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ، وهذا شأن أهل المكر ، فإنهم يُظهرون للمُؤمنين الإيمانَ وَالمَوَدَّةَ، وَهُمْ في البَاطن بخلاف ذلك من كُلِّ وَجْه، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ ، وَذَلكَ أَشَدُّ الْغَيْظ وَالْحَنَق، قال أبو حيان : وَلَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى مَا انْطَوَوْا عَلَيْه منْ ودادهم عَنَتَ الْمُؤمنينَ، وَهُوَ إِخْبَارٌ عَنْ فعْل قَلْبِيٍّ، ذَكَرَ مَا أَنْتَجَهُ ذَلكَ الْفعْلُ الْقَلْبِيُّ منَ الْفعْل الْبَدَنِيِّ، وَهُوَ: ظُهُورُ الْبُغْضِ منْهُمْ للْمُؤْمنينَ في أَقْوَالهمْ، فَجَمَعُوا بَيْنَ كَرَاهَة الْقُلُوب وَبَذَاذَة الْأَلْسُن. ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ مَا أَبْطَنُوهُ منَ الشَّرِّ وَالْإِيذَاءِ للْمُؤْمنينَ وَالْبُغْض لَهُمْ أَعْظَمُ ممَّا ظَهَرَ منْهُمْ فقال:﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ أَيْ أَكْثَرُ ممَّا ظَهَرَ منْهَا،[3]، قلت : لكن الله تعالى طمئن عباده المؤمنين فقال: ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ أَيْ: مَهْمَا كُنْتُمْ تَحْسُدُونَ عَلَيْه الْمُؤْمنينَ وَيَغيظُكُمْ ذَلكَ منْهُمْ، فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّه مُتمّ نعْمَتَهُ عَلَى عبَاده الْمُؤْمنينَ ومُكمل دينَهُ، ومُعْلٍ كلمته وَمُظْهرٌ دينَه، فَمُوتُوا أَنْتُمْ بغَيْظكُمْ ﴿إِنَّ

(١) صحيح البخاري باب المعصوم من عصم الله ٨/ ١٢٥ برقم (٦٦١١) من حديث أَبي سَعيد الخُدْريِّ .
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٥٥٠) ، ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (٨/ ٦٥٨) من طريق أبي حيان التيمي به ، ورواه عبد بن حميد في تفسيره كما في الدر (٢/ ٣٠٠).
(٢) البحر المحيط ٣/ ٣١٨ .
(٣) المرجع السابق .

ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ أَيْ: هُوَ عَلِيمٌ بِمَا تَنْطَوِي عَلَيْهِ ضَمَائِرُكُمْ، وتُكِنُّه سَرَائِرُكُم مِنَ الْبَغْضَاءِ وَالْحَسَدِ وَالْغِلِّ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَهُوَ مُجَازِيكُمْ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا بِأَنْ يُرِيَكُمْ خِلَافَ مَا تُؤَمِّلُونَ، وَفِي الْآخِرَةِ بِالْعَذَابِ الشَّدِيدِ فِي النَّارِ الَّتِي أَنْتُمْ خَالِدُونَ فِيهَا، فَلَا خُرُوجَ لَكُمْ مِنْهَا. فهذا مبلغ عظيم في تحذير المؤمنين إذ كشف الله تعالى لهم دَخَائِلَ مَنْ حَوْلَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، أَتَمَّ كَشْفٍ، وذلك فِي التَّحْذِيرُ مِنَ الِاغْتِرَارِ بِهِمْ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْإِلْقَاءِ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ[1].

الحقيقة الخامسة : أن الهدف الأساس لأولئك الناقمين إنما هو صد المسلمين عن دينهم ،لأنهم يعلمون في قرارة أنفسهم أن الدين الحق إذا قام في نفوس المؤمنين فلن يبق لأولئك وجود، وإن تمكنوا من صد المسلمين عن دينهم فستكون لهم الصولة والجولة ، قال تعالى :﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[2] ، قال أبو حيان- رحمه الله تعالى-: وهذا إخبار من الله للمؤمنين بفرط عداوة الكفار، ومباينتهم لهم، ودوام تلك العداوة، وأن قتالهم إياكم معلق بإمكان ذلك منهم لكم، وقدرتهم على ذلك[3] ، قلت: لكنهم لن يستطيعوا بإذن الله تعالى ، فإن الله تعالى قد طمئن المؤمنين بقوله (إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟) ، قال في فتح القدير عند ورود هذا الشرط : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ﴾ ابْتِدَاءُ كَلَامٍ يَتَضَمَّنُ الْإِخْبَارَ مِنَ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- لِلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارَ لَا يَزَالُونَ مُسْتَمِرِّينَ عَلَى قِتَالِكُمْ وَعَدَاوَتِكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنِ الْإِسْلَامِ إِلَى الْكُفْرِ إِنِ اسْتَطَاعُوا ذَلِكَ وتهيّأ لهم منكم، والتقيد بِهَذَا الشَّرْطِ (إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟) مَشْعِرٌ بِاسْتِبْعَادِ تَمَكُّنِهِمْ مِنْ ذَلِكَ، وَقُدْرَتِهِمْ عَلَيْهِ[4] ، جاء في زهرة التفاسير :والتعبير بـ" إِنْ " يفيد الشك في قدرتهم، بل فيه دلالة على عدم قدرتهم على ذلك أو استبعاد ذلك[5] .

---

(١) انظر ابن كثير ٢/ ١٠٨ ، التحرير والتنوير : ٦٥/٤ ، اللباب لابن عادل ٥/ ٤٩٠ ،تيسير الكريم الرحمن ١/ ١٤٤.

(٢) البقرة: ٢١٧ .

(٣) البحر المحيط ١٥٩/٢.

(٤) فتح القدير ١/ ٢٥٠

(٥) زهرة التفاسير ٦٩١/٣، بتصرف .

المبحث الثالث

إيجاب الإسلام للعدل مع أهل الكتاب

ولتعلم أنه رغم بالغ التحذير من عدائهم ومكنوناتهم فإنه تعالى قد أمر بالعدل معهم، وعدم الوقوع في خيانتهم وغدرهم ، حتى ولو كانوا محاربين للمسلمين ، قال تعالى : ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ﴾[1].

قال العلامة الشنقيطي[2] رحمه الله تعالى: نهى الله المسلمين في هذه الآية الكريمة أن يحملهم بغض الكفار لأجل أن صدوهم عن المسجد الحرام في عمرة الحديبية أن يعتدوا على المشركين بما لا يحل لهم شرعا[3] ، قلت :وفي سياق الأمر باحترام العهد معهم يقول ﷺ : «من قتل مُعاهدًا لم يَرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرةِ أربعين عامًا"[4] .

ومن أروع الأمثلة في لزوم العدل مع كل أحد وفي كل حال ولو كان ممن نبغض ، ما جاء في قصة عبد الله بن رواحه – رضي الله عنه – حينما بعثه رسول الله ﷺ إلى يهود خيبر[5] ليخرص[6] ثمر نخيلهم، فأرادوا أن يرشوه ليرفق بهم، فغضب وقال : "لقد جئتكم يامعشر اليهود من عند أحب الخلق إلي –يقصد الرسول ﷺ –، ولأنتم يا معشر اليهود أبغض إليّ من عددكم من القردة والخنازير، ولا يحملني حبي لرسول الله ﷺ وبغضي لكم على ترك العدل فيكم، قالوا بهذا قامت السموات والأرض "[7] .

---

(١) المائدة: ٢ .

(٢) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي: مفسر مدرس من علماء شنقيط (موريتانيا) . ولد وتعلم بها. وحج (١٣٦٧) واستقر مدرسا في المدينة المنورة ثم الرياض وأخيرا في الجامعة الإسلامية بالمدينة (١٣٨١) وتوفي بمكة. سنة ١٣٩٣هـ. له كتب، منها (أضواء البيان في تفسير القرآن – و (منع جواز المجاز – ط) و (منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات). ينظر: الأعلام. (٤٥/٦).

(٣) أضواء البيان (٣٢٨/١).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الجزية، باب إثم من قتل معاهداً بغير جرم (٩٩/٤ ح٣١٦٦).

(٥) الناحية المشهورة بينها وبين المدينة مسيرة أيام، وهي تشتمل على حصون، ومزارع ونخل كثير، ينظر: الأماكن للهمداني: (٤٢٠). وهي اليوم تقع على طريق تبوك السريع .

(٦) الخرص: حزر ما على النخل من الرطب تمرا. وقد خرصت النخل. والاسم الخرص بالكسر. ينظر: الصحاح (١٠٣٥/٣).

(٧) أخرجه مالك في الموطأ في كتاب المساقاة (٢٣٩٨/٢٧٧/٢)، وأحمد في المسند (٢١٠/٢٣/ ١٤٩٥٣)، والحديث صححه الألباني. ينظر: غاية المرام (٢٦٤).

وقد ضرب السلف الصالح أروع الأمثلة في الوفاء والعدل وعدم الخيانة حتى مع الأعداء ، فعن أبي هريرة –رضي الله عنه –قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ" (١).

وذكر ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره قال : كَانَ مُعَاوِيَةُ يَسِيرُ فِي أَرْضِ الرُّومِ، وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ أَمَدٌ، فَأَرَادَ أَنْ يَدْنُوَ مِنْهُمْ، فَإِذَا انْقَضَى الْأَمَدُ غَزَاهُمْ، فَإِذَا شَيْخٌ عَلَى دَابَّةٍ يَقُولُ: اللَّه أَكْبَرُ اللَّه أَكْبَرُ وَفَاءً لَا غَدْرًا، إِنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: "وَمَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمٍ عَهْدٌ فَلَا يحلَّنَّ عُقْدَةً وَلَا يَشُدَّهَا حَتَّى يَنْقَضِيَ أَمَدُهَا، أَوْ يَنْبِذَ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ" قَالَ: فَبَلَّغَ ذَلِكَ مُعَاوِيَةَ، فَرَجَعَ، وَإِذَا الشَّيْخُ عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ، رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، (٢) .

والأمثلة كثيرة متوافرة ، ومن المعلوم أن عدل المسلمين حتى مع خصومهم من أسباب انتشار الإسلام .

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين ولي الصالحين ومبغض الفاجرين، وأشهد أن لاإله إلا الله الملك الحق المبين، إله الأولين والآخرين، وباعث الناس أجمعين، لاشريك له ولاند ولا مثيل، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل المرسلين وحجته على العالمين، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين، وصحبه الغر الميامين، حملوا لنا هذا الدين، وحازوا من المناقب مالم يكن بمقدور غيرهم من الأتباع الأولين واللاحقين، رضي الله عنهم وأرضاهم ما تتابع النيران، وتعاقب الملوان، وبعد: فقد توصلت في ختام البحث إلى النتائج التالية:

١. الثناء الوارد على طائفة من أهل الكتاب إنما هو ثناء على الذين أسلموا منهم فآمنوا بالله وصدقوا بالرسول، فهم أهل كتاب باعتبار ماسبق، أما بعد الإسلام فهم من جملة المسلمين.

---

(١) أخرجه أحمد ١٥٤٢٤ والترمذي ٣/ ٥٥٦ وأبو داوؤد ٣/ ٢٩٠ والحاكم في المستدرك ٢/ ٥٣ ح ٢٢٩٦ وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه الْإِمَامُ أَحْمَدُ (١١١/٤) عَنْ سُلَيْم بْنِ عَامِر، وَأَخْرَجَهُ عن غيره أبوداوُدَ، (٢٧٥٩) وَالتِّرْمِذِيُّ، (١٥٨٠) وقال :حَسَنٌ صَحِيحٌ ، والنسائي في السنن الكبرى برقم (٨٧٣٢) ، ومسند الطيالسي برقم (١١٥٥) وغيرهم ، وانظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤/ ٧٩ .

٢. لاحظ للنصارى ماداموا على دينهم في الثناء بل هو على ضلال وبعد عن الحق.

٣. لا يؤخذ مما يفهم منه ثناء على طائفة من أهل الكتاب وهم المسلمون التهوين من كفر اهل الكتاب أو تصحيح مذهبهم أو استساغة مسلكهم ، فلا ثناء عليهم بعمل صالح نافع، ولا ينتفعون بشيء من أعمالهم في الآخرة مالم يؤمنوا ببعثة محمد ﷺ .

٤. من آمن من أَهْلِ الْكِتَاب له خُصُوصيَّة، وعظيم أجر؛ لأنهم جمعوا بين الإيمان بما أنزل على محمد ﷺ ، وبما أنزل قبله .

٥. التأكيد على خطأ مسلك أهل الكتاب لايحمل على ترك العدل معهم أو الوقوع في ظلمهم،فالعدل منهج وطريقة المسلمين مع كل أحد وفي كل حال.

٦. الدين الحق واحد لا يتعدد، وهو دين الإسلام، ولبيان هذه الحقيقة لم يأت الدين في القرآن بغير الإفراد فلم يثن ولم يجمع، فمن الخطأ الشائع بل الفاحش قول بعضهم :زمالة الأديان، أو المقاربة بين الأديان، ونحو ذلك .

٧. تقرير حقيقة أن الود والصفاء القلبي والمحبة إنما يكون ذلك بين المؤمنين بعضهم البعض دون غيرهم، ولايعني ذلك ظلم الآخرين، أو بخسهم حقوقهم، أو الجور في التعامل معهم.

ها أنا قد يسر الله لي اتمام هذا البحث المختصر فإن أصبت فمن الله ، وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان ، واستغفر الله من كل ذنب وخطيئة، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

قائمة المصادر والمراجع

١. القران الكريم .

٢. أحكام القرآن ، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي المحقق: محمد صادق القمحاوي - عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٣. أسد الغابة في معرفة الصحابة: المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ): المحقق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود: الناشر: دار الكتب العلمية: الطبعة: الأولى سنة النشر:١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

٤. الإصابة في تمييز الصحابة: المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ): تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض: الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت: الطبعة: الأولى – ١٤١٥ هـ.
٥. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: المؤلف : محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ): الناشر : دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان: عام النشر : ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ مـ.
٦. الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام: المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ): المحقق: د. أحمد حجازي السقا: الناشر: دار التراث العربي – القاهرة
٧. الأعلام: المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)،
٨. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم /تقي الدين ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي)
٩. المحقق: ناصر عبد الكريم العقل الناشر: دار عالم الكتب، بيروت
١٠. ناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م.
١١. الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة: المؤلف: أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي الهمداني، زين الدين (المتوفى: ٥٨٤هـ): المحقق: حمد بن محمد الجاسر: الناشر: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر: عام النشر: ١٤١٥ هـ
١٢. بحر العلوم ، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي: دار النشر : دار الفكر – بيروت: تحقيق: د.محمود مطرجي.
١٣. تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام: المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ): المحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف: الناشر: دار الغرب الإسلامي: الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ م.
١٤. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد": المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ): الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس: سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.
١٥. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم ت : ٣٢٧هـ المحقق: أسعد محمد الطيب الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية .

١٦. تفسير البحر المحيط: المؤلف: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي: دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م:: الطبعة: الأولى: تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض:: شارك في التحقيق :د. زكريا عبد المجيد النوقي ، د. أحمد النجولي الجمل.
١٧. تفسير القرآن العظيم: المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ): المحقق: سامي بن محمد سلامة: الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع: الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩ م.
١٨. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ
١٩. جامع البيان في تأويل القرآن: المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ): المحقق: أحمد محمد شاكر: الناشر: مؤسسة الرسالة: الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
٢٠. الجامع لأحكام القرآن: المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ) : المحقق: هشام سمير البخاري: الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية: الطبعة: ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م.
٢١. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول اللهﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري: المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي: المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر: الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي): الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.
٢٢. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ): تحقيق: علي بن حسن - عبد العزيز بن إبراهيم - حمدان بن محمد: الناشر: دار العاصمة، السعودية: الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.
٢٣. دقائق التفسير الجامع لتفسير ، تقي الدين أبو العباس ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (: مؤسسة علوم القرآن - دمشق الطبعة: الثانية، ١٤٠٤
٢٤. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: المؤلف : محمود الآلوسي أبو الفضل: الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٢٥. الروض المعطار في خبر الأقطار المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميرى)
٢٦. المحقق: إحسان عباس ،الناشر: مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت - طبع على مطابع دار

السراج الطبعة: الثانية، ١٩٨٠ م
٢٧. زهـرة التفاسير ،محمد بن أحمد بن مصطفى بـن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ) دار النشر: دار الفكر العربي أعده للشاملة/ أبو إبراهيم حسانين .
٢٨. سـير أعـلام النبلاء: المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بـن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ): المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط: الناشر: مؤسسة الرسالة: الطبعة الثالثة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
٢٩. الصحـاح تـاج اللغة وصحـاح العربية: المؤلف: أبـو نصر إسماعيل بـن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ): تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار: الناشر: دار العلم للملايين – بيروت: الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.
٣٠. غايـة المرام في تخريج أحاديـث الحلال والحرام: المؤلف: محمـد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ): الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت: الطبعة: الثالثة – ١٤٠٥هـ.
٣١. فتح القدير: المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ): الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت: الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ.
٣٢. محاسـن التأويل ، محمـد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحـلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ) ت: محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلميه – بيروت ،ط ١– ١٤١٨ هـ
٣٣. المحـرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمـن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ): المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد: الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت: الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.
٣٤. مسنـد الإمـام أحمد بـن حنبل ، المؤلـف : أحمد بن حنبـل: المحقق : شعيـب الأرناؤوط وآخرون: الناشر : مؤسسة الرسالة: الطبعة : الثانية ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م
٣٥. المسنـد الصحيـح المختصـر بنقل العدل عـن العدل إلى رسـول اللهﷺ: المؤلـف : أبو الحسـين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابـوري: المتوفى : ٢٦١ هـ: المحقق : مجموعة مـن: المحققـين: الناشـر : دار الجيل – بيروت: الطبعـة : مصورة مـن الطبعة التركية المطبوعة في استانبول سنة ١٣٣٤ هـ.
٣٦. معـاني القرآن وإعرابه لإبراهيم بن السـري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: ٣١١هـ) عالم الكتب – بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م
٣٧. معـالم التنزيـل في تفسير القـرآن = تفسير البغـوي: المؤلف: محيي السنـة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ): المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمـر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرشـ: الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع: الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

٣٨. معجم اللغة العربية المعاصرة: المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل: الناشر: عالم الكتب: الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
٣٩. الملل والنحل: المؤلف: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ): الناشر: مؤسسة الحلبي.
٤٠. موطأ الإمام مالك: المؤلف: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ): المحقق: بشار عواد معروف - محمود خليل: الناشر: مؤسسة الرسالة: سنة النشر: ١٤١٢ هـ.
٤١. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي ت ٦٧٦ الناشر دار إحياء التراث بيروت ، ط ١٢٩٢ .
٤٢. النهاية في غريب الحديث والأثر: المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ): الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م: تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي.
٤٣. النكت والعيون ، تفسير الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي ت: ٤٥٠هـ المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ،الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان
٤٤. نواقض الإسلام: المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ): الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية: الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ.
٤٥. الوافي بالوفيات: المؤلف: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ): المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى: الناشر: دار إحياء التراث - بيروت: عام النشر:١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
٤٦. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ،أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي ت: ٤٦٨هـ، تحقيق: صفوان عدنان داوودي ، دار القلم ، الدار الشامية - دمشق، بيروت